كتاب الحياة ٢٩

صورة من الأدب الحضرمي

أكواب الشاي

تأليف
الشيخ. عمر بن محمد باكثير



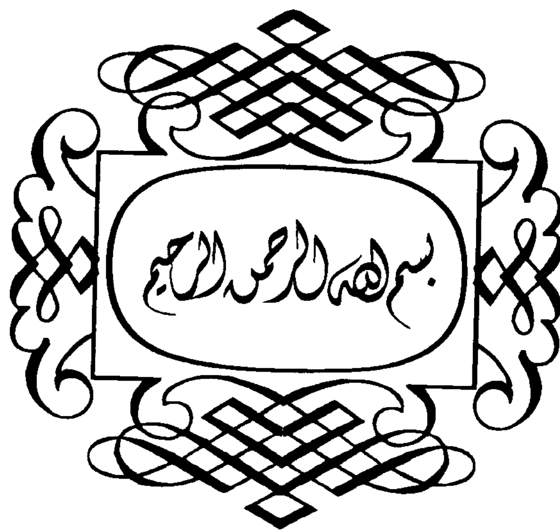


كتاب الحياة | ٢٩

أكواب الشاي

صورة من الأدب الحضرمي

تأليف
الشيخ. عمر بن محمد باكثير


بسم الله الرحمن الرحيم





أدوات طبخ الشاي

البخاري (السماور)



المقدمة

أدوات طبخ الشاي

إن مجالس احتساء شرب الشاي في حضرموت تعتبر من الفنون التي يولع بها الحضارمة، فأدوات طبخ الشاي تتكون من البخاري أو (السماور) الذي يطبخ الشاي عليها في براد على نار هادئة تنبعث من وسط هذا الجهاز المذكور، والمستخدم له الفحم الخشبي، ولعل هذين الاسمين مشتقة من اسم بخارى أو سمرقند، وتسمى في حضرموت بعدة الشاي التي لا يخلو منها بيت، ويتفنن في طبخه رجال ونساء متخصصون في طبخه بالخبرة، وكل عريس أو عروسة يعتبران تجهيز هذه الأدوات من الضروريات .

وتتكون هذه العدة من مجموعة من الفناجين (الأكواب) الزجاجية الصغيرة والعلب الزجاجية المتوعة للسكر ولغسل الفناجين والتجفيف.

والشخص الذي يقوم بطبخ الشاي يلبي حاجة المجتمعين كل حسبما يطلبه فهو على ثلاثة أنواع : القاطع



أي المركز، والوسط والخفيف.

وفي المجلس الواحد يحصل الفرد على ثلاثة أكواب على الأقل، لأن مجلس شرب الشاي يستمر لمدة لا تقل عن ثلاث أو أربع ساعات في بعض الأحيان.

مؤلف هذا الكتاب من المولعين بشرب الشاي وطباخته، فهو يصطبح به باكراً ويغتبق به مساء، ويقول مبالغاً: إذا وجد الشاي في البيت فهو يكفيني عن المواد الغذائية الأخرى. ويقول فيه أيضاً: إن الشاي ينشط الجسم ويقيه من الأمراض والحميات ويقوي الذاكرة ويهضم الطعام.

من خصائص الشاي التي قد لايعرفها الكثيرون هي: بالرغم من كون الشاي من المواد المنبهة والمنشطة إلا أنه لا يؤثر مباشرة على القلب وإنما تأثيره على الجهاز العصبي، وتأثيره غير فوري، بل بالتدريج بعكس القهوة فإن الكافيين الموجود فيها يؤثر مباشرة على غشاء المعدة والقلب.

عبدالقادر أحمد باكثير

تقديم

بما أن الشاي أصبح لا تحسن المجالس ولا تروق إلا به،ولا يظهر رونقها إلا بطبخه في النوادي والمجالس، لاسيما مجالس الأدباء والشعراء والعلماء.

وبما أن شعراءنا قد نوهوا به في أشعارهم، ووصفوه بالأوصاف الحميدة، وجعلوا له شروطاً وآداباً واختلفوا فيما ينبغي في مجالسه من المحشات ودواعي اللهو والطرب وغير ذلك.

فقد ارتأيت أن أجمع في ذلك مؤلفاً يفي بما جرى لشعرائنا في ذلك، خدمة لأدبائنا أن يزاح عنهم شبح الخمول، وأن يظهر في العلم أنّ لدينا من تراث الأدب والشعر ما يفتخر به كل من يمت بصلة الوطن اليمني الحضرمي في عالم الوجود.

وأن لدينا عناية خاصة بالقريض تليدة منذ عهد الملك الضليل حامل لواء الشعر امرء القيس الكندي حيث يقول مرتجزاً:

دمون إنا معشر يمانون ❖ ❖ ❖ و إننا لأهلنا محبون

إلى عهدنا هذا وعهد المنتسب إليه شاعرنا الكبير علي بن أحمد باكثير إذ يقول:

إذا لم أقلها فذة عبقرية ❖ ❖ فلست لميراث إمرء القيس حاوياً

فإننا بهذا قد جمعنا ما يُسر لنا من حفظ بعض أشعارهم كما يراها القارئ في هذا الخصوص.

وبما أن هذا الموضوع لم يسبقني أحد إلى مثله، مع أن بعض المؤرخين والكتاب كتبوا عن القهوة ولم تخطر على بال أحد من المتأخرين الكتابة عن الشاي، مع أن ولوعهم به أكثر منه إلى القهوة، فقد قمت بهذه البادرة الأدبية، والقومة التاريخية، لينتفع بها أدباؤنا، وليعلموا أن لدينا تراثاً أدبياً لا يستهان به، وأن لدينا خبرة بالأدب والنقد لا تقل عن خبرة الأدباء والنقاد في العالم الأدبي.

ومن تمعن النظر في كتاب الله العزيز وفي كثير من آياته الباهرة في وصف أكواب الخمر في الجنة كمثل قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ

وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧- ١٩] كخمر الدنيا التي تعتري شاربها الصداع وتنزف العقل، أي تسكر الخمر شاربها وتزيل عقله.

فقد يشتاق إليها المتقون من العباد ولكن يكبح تشوقهم وشهوتهم إليها الخوف من عقاب الله على شرابها في الدنيا، فتبقى حسرتهم على ذلك، فسخر الله لهم هذه الشجرة، شجرة الشاي، وعوضهم عنها كي يشتغلوا بها عن أكواب الخمر المحرمة، وذلك فضل من الله لهم، ومحبة ورحمة وشفقة عليهم من أمراض خمر الدنيا، والله أعلم بمراده بذلك.

وأنا أقول : إن هذا فهم أوقعه الله في قلبي وأملاه على قلمي، وكان ما كان ولله الحمد على ذلك.

— المؤلف —

فاتحة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح هذه الرسالة، وبحمده وصلاته وسلامه على رسوله العربي، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وخصه بأنواع الحكم وأفضل العلوم، المشتملة على جوامع الكلم والحكم التي أعجزت فطاحل العرب العرباء، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، صلاة وسلاماً دائمين إلى اليوم الموعود، وفناء الوجود، وجعلنا الله وإياهم من المتقين الأبرار، الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، في جنة عدن عند مليك مقتدر.

— المؤلف —



في أي محل من العالم وجود الشاي أولاً ؟

كان أول وجوده في الصين كما تصرح به هذه القصة التي وجدتها في بعض الكتب وهي:

تقول الأساطير الصينية القديمة إن ناسكاً حضر من الهند إلى الصين يدعو الناس إلى المحبة والخير، وما أن وطئت قدماه أرض الصين حتى عزم على أن يصوم سبعة أعوام يعبد فيها ربه ويسبح بحمده، وظل على هذا الحال مستيقظاً ثلاثة أعوام ثم غلبه النوم، فلما استيقظ غضب على نفسه غضباً شديداً وجدد العزم على تنفيذ رغبته مهما كلفه ذلك، فشرع مرة ثانية في العبادة والتسبيح، وبعد خمس سنوات أخر بدأ رأسه يميل إلى النعاس حتى وقعت يده على شجرة قريبة، فأخذ يشغل نفسه بمضغ أوراقها فوجد أنها تكسبه القوة والنشاط على مغالبة النوم، واستطاع أن يتم المدة التي فرضها على نفسه في يقظة وعبادة، وكانت هذه الشجرة تسمى باللغة الصينية (شا) فأطلق اسمها على الشاي .

وقد يختلف الناس في صحة هذه الأسطورة وصدقها، ولاشك أن الشاي عُرف لأول مرة في الصين، ثم انتقل منها إلى اليابان والهند وأوروبا، وأخيراً انتشر في بلاد العالم الأخرى.

وقد كان الشاي شيئاً نادراً جداً لا يشربه إلا العظماء والأغنياء، وكان ثمن الرطل في أوروبا قديماً نحو عشرة من الجنيهات، ولما بدا يعم المنازل كان الناس أول الأمر يغلونه على النار ثم يصبون الماء على الأرض ويأكلون الأوراق مع الخبز، ولكنهم سرعان ما عرفوا الحقيقة وأصلحوا هذا الخطأ .

والشاي أوراق تؤخذ من شجيرات لا يكاد ارتفاعها يزيد على متر ونصف تظل خضراء طول العام، وتوزع تلك الشجيرات ولا يقطف منها شيء في العام الأول، فإذا دخلت في السنة الثانية تقطف أوراقها ويجفف ثم تبرم وتخمر بطرق خاصة، وبذلك يكسب الشاي شكله الذي نراه الآن.

وللشاي أثره في الإنسان فهو ينبه العقل ويبعث على



النشاط ويزيل التعب عقلياً كان أو جسمياً، ولكن الإكثار من شربه مع ذلك يضر المعدة ويسبب الأمراض[1].

وقد أخذت الأمم الراقية منه وجبة خفيفة يجتمع عليها أهل الأعمال يتحدثون في شئون أعمالهم، والأصدقاء يتسامرون ويتجاذبون أطراف الحديث ببطون خفيفة بالطعام، وقلوب مليئة بالحب.

(١) قوله : يسبب الأمراض، هذا يحتمل أن يكون لبعض الناس، وإلا فهو يذهبها ولاسيما الحمى، فإن المداوم على شرب الشاي لاسيما بكرة على الريق فإنه يذهبها بتاتاً كما هو مجرب.

وجود الشاي واستعماله بداخل حضرموت

والـذي يظهـر أن أول مـا ظهـر في داخـل حـضرموت واستعمل شرابه بمدينة تريم كما تقول هذه الرواية، فقد حدثني الوالد رحمه الله الذي كان لزيماً للسيد العلامة الصوفي عبيدالله بن محسن السقاف قال:

كـان في بعض مجالسه مع السيد عبيدالله إذ دخل عليهما الشيخ عبدالله بن نهيم الذي كان ممن يقضي حاجة السيد عبيدالله، فأرسله ذات يوم إلى تريم إلى عند السيد شيخ الكاف مؤسس الثروة الكافية إذ ذاك الزمن، وكتب بمعيته رسالة إلى السيد شيخ، فأتى ابن نهيم برسالة جواباً على تلك الرسالة، فسأله السيد عبيد الله ماذا وجدت السيد شيخ يعمل؟ قال: وجدته مع أولاده وأصحابه يشربون عسلاً في فناجين فضة، فضحك السيد عبيدالله من كلامه هذا متعجباً من قوله، ومع الصدفة دخل علينا بعض الناس ممن سمع بأن السيد شيخ يطبخ في بعض مجالسه الشاي ويديره الساقي على الحاضرين في

فناجين مثل لون الفضة، وقال لنا : إن هذا الذي شبهه ابن نهيم هو الشاي، ولونه أحمر مثل لون العسل، وفناجين من فضة شَبَه فناجين الزجاج بالفضة لبياضهن وصفاهن، وكان هذا الشاي يصنعونه أهل الحجاز ويشربونه . ونحن من هنا عرفنا أنه أول من استعمل بمدينة تريم وذلك في حدود سنة ١٣١٩هـ .

وجود الشاي واستعماله بمدينة سيئون :

وقد اشتهر أول وجود الشاي واستعماله بمدينة سيئون، فقد حدثني من أثق به وأيده كثير ممن عاصرتهم أن أول من طبخ بسيئون، أو طبخ له في مجلسه الشاي هو السيد الشهير علي بن محمد الحبشي . ولما كان كذلك شاع في البلد، وكان أولاً لا يطبخ إلا في المناسبات كالأعياد واجتماع بعض الأكابر أو في الروحات والولائم، ثم شاع في جميع البيوت حتى الحلجان (المزارع) والأرياف وغيرها. قال في ذلك الشاعر الكبير، علي بن أحمد باكثير في روايته همام :

ولقـــد زاد بـــلاء أنـه في قطـرنا عـم
فهو في القصر وفي البيـ ـت وفي الكوخ المرمـرم

وحتى شاع في الجهات الحضرمية، وقد أصبح النـاس يتفـاخرون بطبخـه وأنواعـه وأدواتـه اللطيفـة، ويتغـالون في شرائها كما هو مشاهد الآن، وكان السيد علي من شدة ولوعه به قال متغزلاً في علبة الشاي :

إليك اشتياقي طال يا علبة الشاهي
وما أنا بالناسي العهـود ولا السـاهـي

وحتـى أنـه أخمـل (أهمـل) ذكـر القهـوة الـتي كـانـت نديمة مجالسهم ومجتمعاتهم حتى صارت لا تطبخ إلا نـادراً في بعض البيوت والمدارس والاجتماعات العامة، وحتى صار الشاي مـن لـوازم المجـالس، ولا يحـسن مجلس ولا يـروق إلا به.

وبمـا أن الـشعراء بالخـصوص شـعراء سـيئون أكـثروا الشعر في الـشاي وأوصـافه وأنواعـه، ووصـف مجالـسه ومـا يحـسن فيهـا مـن دواعـي اللـهو والطـرب والغنـاء وغير ذلـك، فقد جمعت هذه الأشعار الآتية، وقمت بمـا يلـزم حـول هـذه

الآثار التاريخية والتي هي صورة من تراث أدبنا الحضرمي وأنموذج من أشعارهم الخالدة، ومبرة وصلة لهم، إذ أنهم خلاصة أفذاذ شعراء وطننا العزيز .

وقد جعلت شعر كل واحد منهم على حدة في الموضوع وفي الفصل الأول أذكر الأشعار برمتها غاضاً نظري عما فيها من سرقة في المعاني والاختلاف، وما يحصل فيها من ملاحظات، وبيان ما هو غير ظاهر من المعاني وغير ذلك، مرجياً كل ذلك إلى الفصل الثاني الخاص بها كما يأتي.


الفصل
الأول



أشعار الحبشي

وبما أن السيد الشهير الشاعر العظيم، علي بن محمد الحبشي أول من غُني بالشاي ونوَّهَ به في شعره، فقد حاز مرتبة الصدارة، ولهذا فقد ابتدأنا بشعره هنا . قال رضي الله عنه :

طاب طعم الشراب من ذا الشاهي	فتناهى في الحسن أي تباهي
هو نعم الشراب ذوقاً ولوناً	ما له من مماثل أو مضاهي
وافق الطبع ذوقه فانبسطنا	لجمال من حسن ذلك باهي
لا تسل عند ذوقه ما وجدنا	من حلاوى تذاق في الأفواه
إنما الشرط فيه لطف الأواني	مع حسن الحلا وعذب المياه
رقَّ في الكأس فالتشاكل بادٍ	في الأواني والشاهي في الاشتباه
وله مجلس لطيف ظريف	يذكر الشخص فيه ماكان ساه
عند أهل الحضور في حضور	ولأهل الملاهي في ملاهي
ولقوم فيه اختيار مصيب	عند بعض وبعضهم قال واهي
امتلاء الكؤوس قالوا معيب	ورأوا أنه على النصف زاهي
وصلاة من الإله على من	هو في العالمين أوسع جاهِ

وقال :

لله مشروب

لله مشـــروب حـــلا شـــربه　　قد أكسب الشارب منه الطـرب
يحسبـه شـاربه مـن لطفـه　　كـأن راح عــلاه الحـــبب
فـإن تقـل صرح لنا باسمه　　فقد قضينا في اسمه بالعجب
فإنـــه الشـاهي ولا يحتسي　　كـؤوسه إلا رجـــال الأدب

وقال :

إليك اشتياقي طال يا علبة الشاهي
وما أنا بالناسي العهـود ولا السـاهـي



أشعار ابن عبيد الله

وللسيد الشاعر الكبير : عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف :

في مراح الصبا :

هذه القصيدة قالها في وصف يوم أنس وكان في نزهة مع أحبابه :

في مراح الصبا ومرعى الأماني	وابتسام الهوى وطيب الزمان
هاتها تطرد الهموم وتستد	على المسرات وردة كالدهان
في رياض من النخيل تلاقي	الماء فيه من السماء والسواني[1]
باسمات ثغورها تتبارى	في حفيف معبر عن تهاني
تملأ العين قرة باجتلاها	في جناها كحاليات الغواني
يشبه الأصف المناصف منها	منظر الشاي في انتصاف الدنان
ونهود الدمى المذنب منها	في تدلي قنوانها من جنان
كلما حرك النسيم غصونها	زاد طيباً أريج هذي المغاني

(١) قوله "والسواني" حسبما يظهر أنها لفظة عامية وافقت القافية، لأني لم أجدها في القاموس وشرحه.

وإذا مـــرَّ بالـمـيـاه كـســاهــا   من نسيج المحاسن الخسرواني
وسهام ينقشن في الصدر حصداً   كعيون الدمى بأعلا القنــان
طــبن مرأى ومسمعاً وخيــالاً   ومذاقــاً بذكريــات حســان
معلب اللهو مسقط الرأس مجنـى   ثمرات النُهى الشهــي المجـاني
مهبـط النـور منزل الحور مــــأ   وى الغيد من هائم وسباط البنان



فاسقنيهــا بغــير إثـم شمــولا   تطلق العقل في رقيق الأوانــي
بين سحــر من الحديث حـــلال   وأغـــاريـد بـلـبـلٌ وأغــــاني
صرفة أولا ولا بــاس بالـمــز   ج ولاسيمــا لتعجيل ثــــاني
هاتهـــا من شقــائق ثم إن مـــا   لت براسي فمن خـدود القـيـان
إنمـــا العيش روضة ومـــــدام   وكلام على بســــاط الأمـــاني
وشـــواء بجنبـــه رُطـبٌ غـضٌ   لـــذيـذ مـــــنوع الألــوان
وإذا زاد بعــد ذلك شيئــــاً   فــدلال الدمى وشجو المثـاني
بصعــود مــن السعود اختلسنا   لــذة اليـوم في نعيم الجنـــان



ويوم كأيام الجنان

ولابن عبيد الله هذه القصيدة قالها في وصف يوم أنس :

يـوم كأيام الجنـان من الأنس
قضيت بـها في الطيب ما تشتهي نفسي
تجمعت الأهواء فيه وعمت التهـا
نـي ولم يعلق بشيء من النحس
صفا لـي فلم أهتم بالأمر في غـد
وكفر عمـا كان من هفوة الأمس
على قهوة تشفـي الهمـوم وتجلب
السـرور ولا تجني على العقل والحس
إذا حليت حـل الهنا وانتفى العنا
وتم المنـى والرشد بـاق على النفس
متى اصفقت في الكأس كان نشيشهـا
ألــذ من الأوتار في ليلة العـرس
لها صفة مـن عندم قبـل مزجهـا
كما هـي بعد المزج صفراء كالورس
تشـق عجـاج الموجعات بأدهـم
وورد يطــاردن الهمـوم فلا يمسي



ومـن لبن حينـا يكون مزاجهــا
لـه رغـوة مثل النديف[1] من البرس
ترشفتهـا فـي يـوم دجـن كـانــني
ترشفت بالكاس الرضاب من اللعــس
على اليمن والإقبال في ظل روضة
وعينــي من اللــذات ترنو إلى خمس
كتــاب وبستان وكاس وقينــة
وسيدة مـن دونهـا طلعة الشمس
بها سلوتي في خلوتي كلما طغـت
على خاطـري في خلوتي وحشة الأنس
وفيها عزائي في الخطوب وراحتــي
إذا ضاق صـدري من لئام بن جنسي
فقد برمت[2] نفسي بما يضمرون لـي
ولكــن تلكم من عداوتهـم تنسي
فكـــم دبــروا لي ظالمــين مكيدة
فجــاءت ولله المحـــامـد بالعكس

(١) النديف : العُطب المندوف، أي الأبيض الناصع، والبرس: العُطب .
قال الشاعر:
تری اللغام على هاماتها قزعاً ❖ ❖ ❖ كالبرس طيره ضرب الكراريس
(٢) برمت نفسي : أي سئمت نفسي.



يريدون لي عيباً فألفوا نزهة

تردهمُ عني بألسنة خُرس

وإن زوروا عني يئول افتراؤهم

بما كان مني من تحدٍ إلى نكس



إلى رياض قد التفت خمائلها

ويقول ابن عبيد الله أيضاً في مثل ذلك اليوم :

ما كان يلتف في ذيل الدجى القبس
إلا وصحبي إلى حي الدمى اختلسوا
إلى رياض قد التفت خمائلها
يكاد منها خرير الماء يحتبس
يسافر الطرف في أقطارهن وإن
تأشبت فهناك الضوء والغلس
شجراء رقت حواشيها وزينها
زهر الربيع وعذب الماء ينبجس
فللجداول في حافاتها زجلٌ
وللخوافت في أفنائها جرس
يبكي الحمام ويرفقن الغمام ويستحـ
ـلى المدام ولا واش ولا حرس
على الأغاني وشيء من خصائصه
جلب السرور وتنبيه الهوى جلسوا
كما يذاب النضار العرف رونقه
ولا صداع ولا إثم ولا هوس

يذكي الجوى للهيب في الزجاج له
أشعة في وجوه القوم تنعكس
ظلوا عليه نشاوى والكواعب يسـ
ـحبن الذيول ولم يعلق بها دنس
تجلي الكؤوس وتهتز النفوس وإن
نال السرور وقارٌ بينهم همسوا
مالوا إلى كل لهو منه فائدة
تثني العدا وبهم من حله خرس
في غفلة من زمان المحنة اختلسوا
سحابة اليوم واللذات تختلس
في مربع النور مثوى الحور يشملهم
مع الجمال الذي يسبي النهى القدس(١)



(١) القدس: أي الطهر. وهو فاعل لقوله : "يشملهم كما لا يخفى".

شعر الحامدي

وللشاعر الكبير السيد صالح بن علي الحامد في الشاي ووصفه :

روق لها ماء الغمام

روق لهـا مـاء الغمـام وهاتها
لـي والحبـاب يدور في جنباتهـا
صهبـاء مـا عبثت بهـا يد عابث
ما عاشـرت إلا أكـف سقاتـها
من جيد الشاهي استحال عصيرهـا
فـأتت تحاكي الشهد في جاماتها
قـد راق منظـرهـا ورق زجـاجها
فلعلـه لم يدهقوا كاساتـهـا
لـولا انتصاف الكاس خيـل أنهـا
فـي كف ساقيهـا تقـوم بذاتها
وإذا الهمـوم على النديـم تكاثفت
وبدت أشعتها جلت ظلماتهـا

فيها غنيت عن الذي سلب النهى
من شانها والإثم من تبعاتها



يا ساعة مرت كلمحة بارق
ذاقت بها نفسي نعيم حياتها
عاطيت فيها الكاس خودا كاعبا
ماء الشباب يجول في وجناتها
فتمايل الأغصان من أعطافها
وشمائل الصهباء من لحظاتها
جاءت إلي وخدها متورد
جزعاً لخوف رقيبها ووشاتها
قلت استقري واهدئي حتى إذا
سكنت بلغنا في المنى غاياتها
طوراً تنازعني الحديث وتنثني
طوراً عليَّ بعتبها وشكاتها
فأجبت معتذراً لها وأودُّ لو
أني بذلت النفس عن حرماتها
الله يعلم ما هممت بريبة
فلتذهب الغوغاء في تهماتها



لا يحفل العف الكريم بقول من

نسبوا إليه فرية لم يأتها





أشعار علي أحمد باكثير

وللشاعر الكبير، والكاتب القدير، علي أحمد باكثير هذه الأبيات من قصيدة طويلة نشرتها صحيفة التهذيب التي عنوانها:

وداع رمضان

فقال بعد أن ذكر شهر الصيام، وأن الصوم كان لحكمة لا للتعبد، وبعد أن ذكر جمود العلماء وسماحة الدين الإسلامي، وبعد أن دعا إلى نهوض الحضرمي والتأسف على تأخره عن الشعوب المتقدمة، إلى آخر ما قال رحمه الله :

يا صاحب القلب الشقي بقومه
أشفق بهذا القلب لا يتحطمِ
أخدم بلادك ما استطعت وكِل إلى
مولاك ما لم تستطعه وسلمِ
ومن الجفا أن لا تحيي مثلما
حياك وجه العيد مبتسم الفم

واحذف شياطين الهموم بأكوسٍ
تنقضن مـن (برّاد) شـاي معلـم
مخضــرة جنباته فاعجـب لـه
مــن جنــة خضراء فـوق جهنـم
شـاي يفـوز من احتساه بلثمة
مـن كل خد في الحسان ومبسم
من (باسلامة) مثــل ذوب التبر أو
من (مشعبي) مثل لــون العندم
مثـل الطــلا في لونها وصفائها
ونقيضها فـي رجسهـا والمـأثم
لا نقــص عنهــا فيـه إلا أنـه
حلــو المــذاق وأنه لم يحـرم
فاشربه متخذاً نديمك كـل ذي
أدب متى نادمتــه لـم تنــدم
واستحضر (التهذيب) واصطحبا على
عــدد جــديد بالطــرائف مفعم
قبس تـألــق مـن سنا حــرية
سيكون فاتحة النهوض الحضرمي

ويقول في روايته همام :

شراب الشاي خير لي

شراب الشاي خير لي من الدنيا وما فيها
إذا ما أقبلت كاس كخود في تهاديها
تولى الهم من نفسي ودانت لي أمانيها
عرفتم من هو القائل هذا الشعر في الشاي
يرى في الشاي دنياه فما صحة هذا الرأي



لا تعجبن همام تلك حقيقة
كالشمس فيها الشاربون سواء
ما قيمة الدنيا وقيمة أهلها
ما لم يكن شاي ولا ندماء

وقال :

إن في الشاي عزاء

إن في الشاي عزاء لصريع الهم والغم
لكئيب أو حزين أو عميد أو متيم
حاز لطف الخمر إلا أنه غير محرم

من صفاء اللون في الصين وحسن الذوق في الفم
هـو مسلات حزين فيه من بلواه معصم
ورسول للتآخي يجمع الناس وينظم
غير أن القصد في الأشياء منجاة ومغنم
فغلونا فيه حتى صار فينا يتحكم
وغدا وهو على القوت الضروري مقدم
و شربناه بلا وزن وتقدير منظم
فلكم يسلبنا المال وكم يسقمنا كم
ولكم أنحى على بيت كريم فتهدم
ولكم عائلة جرعها صابا وعلقم
ولقد زاد بلاء أنه في قطرنا عم
فهو في القصر وفي البيت وفي الكوخ المرمرم



ويقول السيد الشاعر الأديب محمد بن شيخ المساوي:

فاصطبح واغتبق كؤوساً

نسخت آيـة المدامـة آيـا ت مـن الشاي هـن أم الكتاب
فاصطبح كؤوساً من الشـأي تسامت على كؤوس الشـراب
تجلب الأنس والسرور إلى القلـ ـب ولا ينتـهبن بالألبـاب



وهذه القصيدة للشاعر الأديب السيد سقاف بن محمد بن طه السقاف في وصف الشاي وريق الحبيب:

الشاهي وريق الحبيب

كاس من الشاي أغنانا عن الكاس
الشـاي أظهر خا في الشعر من راسي
ولعت بالشـاي بالفنـان يطبخـه
حلـو الحديث خفيف الروح ميـاس
حادثتـه وهـو يسقيني ويلعب بـي
ويمـزج الريق خرج الشهد في الكاس
ما ثلته في تصابيـه فأسكرنـي
مـع الدلال وطبـع فيـه حسـاس



كما تمنيت فـي شكل وفي دمة
صيغت من الدر أو صيغت من المـاس
ناديت يا فاتـن الألبـاب مالكهـا
قبست نـار الهـوى من غير مقبـاس
ياملحن الصوت والأحداق ساحرها
زد فـي المجـون فقلبي ذاهل آسـي

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

قالت أتحسن وصف الغانيـات وألـ
ـوان الزهـور ووصف الدر والآس
أو حانة من خمار الشاي لا هبة
من شـاي سيوون أو من شاي عطاس
فقلت ما الشـاي إلا خمـرة نسخت
من عهـد فرعـون أو من عهـد نواس
فحمـرة مثل لـون الخندريس إذا
صبت وتفعل فعل الخمر بالـراس
قالت تميل إلى الألحان قلت نعم
ما في الشـراب ولا في اللحن من باس
فأرسلت نبرة فـي اللحن فانتفضت
أذني لصوت يذيب الجلمد القاسـي

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

يوم فسحة

عقد رجال (نادي القلم)[1] فسحة في سفح الجبل القبلي البحري المشرف على سيوون، وفي أثناء الفسحة عملوا كعادتهم هذه الأشعار المشتملة على وصف ما جرى في الفسحة من الشاي ووصفه وغير ذلك، وكانت هذه الفسحة واقعة في ٤ شعبان سنة ١٣٦٠هـ .

يوم السرور

وللشاعر الأديب السيد محمد بن حسن بن علوي السقاف:

يوم السـرور لقد كسبت فضيلة
وجمعت أفذاذاً من الشعـراء
كاس الشراب يدور فيما بينهـم
في فسحة قد رق كالصهباء
والأنس قد ضرب الخيام وكلنـا
سكرى على جبل من الغبراء

---

(١) نادي القلم يضم طائفة من أدباء سيوون المعروفين بالشعر والأدب، ولهم مجالس تعقد على شراب الشاي، ونظم الأشعار كما هي مجموعة لدينا في كتيب (ثمرات نادي القلم).

جـبل به حف الســرور وشـاهدت

منـا العيون بدائع الإنشـــاء

لله فـي تدبـير مصنوعـاتـه

لطف يروق جماله للــــرائي



وفيها يقول الشاعر السيد سقاف بن محمد السقاف:

زينوا الفسحة بالشعـر وبالشـــاي اللــذيذ

إنكم للشعـر أهـــل ولكاســـات النبيـذ



إنكم في هـذه البلـــد ة خـير الناس شعــرا

فيكمُ من مرسـل الأشــ ـعار يـاقــوت ودرا



إنمـا النـاس إليكـم شـاخصـون معجبونا

يعرفـون أنكـم فـي النظم طـرا مفلقونا



فملئوا القطر شعــورا والنـــوادي والمحافل

لم يـروا إلا بديعــاً منكموا في القول كامل



أنتمـوا باب القــوافي ... أيــن مـن يدخـل فيـه

حزتمـوا مرتبة مـــا ... نالهـــا كـل نبيـــه



شرفـونا ببديعـات القـــوافي

كلكم في اللفظ والمعنى بديع ومـوافي

وقلت مشاركاً في هذه الفسحة :

يا فسحة

يافسحة كم رأت عيني بها طرفـاً ... مـن القصيد الذي هـا أنا أنشده

في سفح ذا الجبل المانوس فسحتنـا ... يكاد يفصح عن ذا الإنـس جامده

لقــد تذوقـت مـن مطعـــوم لذته ... أكلا سألت به المـولى يعـــوده

فمن إذا الروح ما طابت مطاعمـــه ... ومن إذا الجسم ما راقت موائـــده

من أكوس الشاي قد ثابت قرائحنـا ... حتى دنـا فاخر الأشعـار شــارده

لله مـن أكـوس حف السرور بهـا ... كم أترع الكاس ساقي القوم ماجده

حتـى كـأنا خرجنـا مـن عوالمنـا ... في عـالم الروح غبنـا ما نشاهده

أو في سماء من الأمـــلاك عاليـــة ... أو نحن في الخلد تولينا محامده

فيـا ليـوم قضينـــاه على دعـــةٍ ... قد غاب عن دمعنا الميمون حاسده





وفي رمضان من سنة ١٣٦٠هـ اجتمع (نادي القلم) ونظموا هذه الأبيات الآتية التي تصف الحرب العظمى والذي ترجا كل الناظمين أن يعجل الله بالصلح الشامل للعالم أجمع، وأن تضع الحرب أوزارها، وأنهم ملوا **المجرَّش** (أي السكر الدقيق) وقد كانوا يعتادون السكر **(أي القبع)** وملُّوا شاهي الهند، أي الشاي الذي يأتي من الهند ويريدون الشاي الذي كان يأتي من إندونيسيا المسمى **باسلامه وعطاسي وبن طالب**، والدعاء على هتلر بالهلاك، إلى آخر الأبيات، هذه وقد شارك في نظمها كل أعضاء النادي:

متى تضع الحرب أوزارها	**وتنشر في الناس أخبارها**
فإنا بلينا بهذي الحروب	**سئمنا الحياة وأوطارها**
مللنا المجرش في شاينا	**وشاي الهنود وأشجارها**
إذا ذكر الهند في أرضنا	**مقتنا الهنود وآثارها**
لحاك المهيمن يا هتلرُ	**فأنت المسبب إقتارها**
جلبت الدمار إلى كل بيت	**وفي الحرب قد فقت عمارها**
نفخت بيوقك في كل قطر	**وحركت في الحرب أوتارها**



ستهزم في الروس يا هتلر وإن كنت في الحرب جبارها
لئن شمت يسر الحروب زما نا ستنظر في الروس أعسارها
سراياك كم أعدمت أنفسا شغلت الطيور وأوكارها
فكم في فرنسا وبولونيا هدمت مطارا وطيارها



وقلت في روايتي (أبي اليقظان) [هذه الرواية شعرية انتهى نظمها في سنة ١٣٦١هـ] أو تأثير الحرب بداخل حضرموت في ذكر الشاي، والحنين إلى الشاي ابن طالب، نوع من أنواعه الجيدة:

هو الشاي الذي في الكون أضحى

لعمرك ما لذيذ الشأي إلا تجمع في ابن طالب الشهير
هو الشاي الذي في الكون أضحى على شتى المشارب كالأمير
لحى الله الحروب وموقديها وقادح زندها اللهب المثير
لقد حجبته عنا أي حجب وقد يرد المنازل بالكثير
وأصبح غالي الأثمان حتى غدا في الأرض منقطع النظير
إذا ماشيب (بالقبع) المصفى فقل ماشئت في بنت العصير
ومهما ذقت كاساً بعد كاس فقد متعت بالفكر المنير

فـأبدلنـــا بهنـــــدي رديٍ   بديلاً عنه في الزمـن العسير
وبينهما تجلى الفرق ذوقـــاً   لـــذي ذوق وذي لـــب وفـــير
لـــه خـبر تسامى أي خـــبر   بكـل مشـارب الدنيـا خـبير



لا تذكروا ابن طالب

وقلت فيها أيضاً في ذكر الشاي ابن طالب:

لا تذكـروا ابن طالب   لنـــا فذكـراه نكـــد
إنـــا نسينـاه كمـــا   ينسى الجنين الملتحد
قد كان تأساء لنـــا   ومؤنســـا ومعتمـــد
إذا شربنــاه ذهلنـــا   عـــن أفانين البلـــد
كأننا في جنة الخلـ   ـــد إذا الشرب معـــد
إذا شربنا مـــرة منـــ   ـــه سكـرنا للأبـــد
لا تذكـروا لي شربه   فوصفـــه لي لا يحد
حنن إذا شربته اليـــ   ـــوم ليـــوم قد نفـــد
يا ليت أيـاماً مضت   على شـرابـه تـــرد



فاطبخ الشاي وارتشف منه كأساً

وقلت في غير هذه الرواية هذه الأبيات في الموضوع:

قيدتني الهموم في البيت حتى صيرتني وانٍ عديم احتيال
فتمثلت أجمع الفكر حينا ما خلاصي في حل هذي الحبال
فأشار الفكر عليَّ إن شيئـ ـت الخلاص من هذه الأثقال
فاطبخ الشاي وارتشف منه كاسا قانيا كاختضاب ذات الجمال
ذا رسوخ في الطبخ يعزى إلى العطـ ـاس خير الشراب ما كان غالي
فسمعنا إشارة الفكر حتى الصـ ـبح قمنا لأمره بامتثال
فطبخناه واحتسينا كؤوسا حاكيات لونا عقود اللآلي
فاغتدت عقدة الهموم بجسمي ذات حل تنحل حالا لحال
رجع الجسم بعد سقم صحيحا فكأن قد نشطه من عقال



وقلت :

داوني من داء الهموم

داوني من دائي الهموم براح تشف مني بواعث الأتراح
أدر لي فداك روحي بكأسٍ يرجع الجسم بعد ذلك صاحي

هو خير الشراب ذوقاً كما من ... قد سقاني الشراب خير الملاح
فعراني من بعد ذاك نشاط ... لجيوش من التثاقل ماحي
فتمشى دبيبه في عظامي ... كتمشي الحياة في الأشباح
وسرى سائر السرور بجسمي ... بكرتي وظهيرتي ورواحي
هو شايٌ لا سكر فيه مباح ... ما على المحتسي له من جناح
لو رآه أبو نواس لأضحى ... هاجياً بالقصيد شرب الراح
أو به ابن المعتز يدري لأمسى ... هاجراً للغبوق والاصطباح



وقلت :

تصرم شهر الصوم

تصرم شهر الصوم رمضان وانقضى
فهات لنا صرفاً من الشاي أحمرا
ثلاثون يوماً لم نذق منه قطرة
لقد طلت يا شهر الصيام على الورى

وقلت :

لا أشرب الشاي

لا أشرب الشاي هذا اليوم أجمعه
ولا أروح نفسي بالأناشيد

لكن أعبِّدُ من صعب المعــارف مـا
أمسـى خـفيـا بإيجـاز وتعـقــيد
حتى يراهـا سليم الـذوق ظاهــر
كغادة ظهـرت تسمـو على الغـيد




الفصل
الثاني

ما لنا من كلام على أشعار الشعراء

والذي لنا من تعليقات وملاحظات على هذه الأشعار، ومن سرقات من بعض الشعراء في أشعارهم المتقدمة آنفاً، سواء كانت السرقة داخلية أو خارجية، وأعني بالداخلية أي سرقة بعضهم البعض في الداخل، أو خارجية السرقة من أشعار الشعراء الخارجين عن الوطن سابقاً.

وفي ذكر أذواقهم في شرب الشاي ووصف أوانيه وطبخه وطابخه وتفننه، وذكر أوصافه وأسمائه وأنواعه وشرابه مع شيء آخر، أو مفرد، وتنشيط شاربه وذهاب إحساسه، وبحضور الأغاني مع شيء آخر من كتب العلم والأدب، وغير ذلك كما نفصله كالآتي:

أولاً: على شعر الحبشي

أما الحبشي فقد تناول في شعره طعم الشاي وحسنه وأنه وافق ذوقه، وصرّح بأن الشرط فيه لطف الأواني.

وهنا نقف مع شاعرنا إذ أنه جعل لطف الأواني شرطاً، والشرط يلزم وجوده، وهذا خالف فيه الشاعر



الصوفي ابن الفارض فإنه قال :

ولطف الأواني في الحقيقة تابع ❖❖ للطف المعاني والمعاني به تنمو

إذ أن لطف أواني كل شيء لا يكون حسناً إلا إذا كانت المعاني حسنة، وهذا ليس في المشروبات فحسب، بل هو في كل شيء حتى في غلاف الكتاب وتجليده ليس هو شرط في حسن الكتاب وفضله، وحتى في أثواب المرأة الحسناء لا يفيدها حسنها إذا كانت شوهاء أو عجوز، وكما قال أبو الطيب:

لبسن الوشي لا متجملات ❖ ❖ ولكن كي يصن به الجمالا

وضفرن الغداير لا لحسن ❖ ❖ ولكن خفن في الشعر الضلالا

وإنما المرأة الحسناء في الثوب الرديء لا ينقص من حسنها شيئاً، نعم يزداد حسنها حسناً إذ الحسن لا يعبأ بالإلباس ولو كانت حسنة، وليس هو شرط فيها كما يقول الحبشي بل كما يقول ابن الفارض فإنه تابع لها، وهي تزيد حسناً إذا اجتمع الشيئان، وإذا هو يقول:

رق في الكاس فالتشاكل بادٍ ❖❖ في الأواني والشاهي في الإشتباه

فهو مأخوذ من قول ابن المعتز في وصف



الخمر، وقد جمله وأحسن تعبيره وأبدعه :

رق الزجاج ورقت الخمـر ❖ ❖ فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنمـا خمـر ولا قــدح ❖ ❖ وكأنمـا قدح ولا خمـر

ومأخوذ من شعر الشعراء الخمريين، كالبحتري في قوله :

فاشرب على زهر الرياض يشـــوبه
زهـــر الخـدود وزهـــرة الصهبـــاء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشـ
ـــوق الذي قـد حـل في الأحشـاء
تخفــي الزجاجــة لونهــا فكأنمــا
فــي الكــف قائمـة بغير إنـــاء

وأبي الطيب المتنبي يقول :

لها ثمر تشير إليك منها ❖ ❖ بأشربة وقفن على الأواني

وقبله يقول مجدد النهضة الحضرمية السيد الشاعر الكبير أبوبكر بن شهاب وقد زاد المعنى حسناً:

رق مرآها ومرأى جامها ❖ ❖ هي والجام ضمير مستتر

وقد تفرد الحبشي من دون الشعراء الواصفين الشاهي

بوصف مجلسه فقال :

وله مجلس نظيف ظريف ❖ ❖ يذكر المرء فيه ماكان ناسي

ولقد صدق في ذلك، إلا أنه أجمل هذا المجلس ولم يذكر ما يستحسن في المجلس، غير أنه قال:

فلأهل الحضور فيه حضور ❖ ❖ ولأهل الملاهي فيه ملاهي

مع أن بعضهم صرح بما يستحسن فيه، لكنهم قد اختلفوا في تلك كما يأتي في أشعارهم، وقد ذكر الحبشي في أبياته البائية:

وإن تقل صرح لنا باسمه ❖ ❖ فقد قضينا في اسمه بالعجب

فإنه الشاهي ولا يحتسي ❖ ❖ كؤوسه إلا رجال الأدب

إلا أننا لا ندري بما يقصده الشاعر برجال الأدب هل هم الأدباء الذين نعنيهم نحن، أم هم الذين يعنيهم هو، والأقرب الأخير منهم، لأنه صرح في شعره بأنهم الصوفية كما يظهر للمتصفح أشعاره قاطبة.

وعلى قول شاعرنا الحبشي: **امتلاء الكؤوس قالوا معيب.** فقد خالف ذوق الشاعر ابن عبيد الله حيث يقول:



قال رب الأنام كاسا دهاقا ❖ ❖ فاترعوها وخلوا أهل الملاهي

فإن قال قائل كيف يكون هذا مخالفاً ولم يقل الحبشي هذا إلا حاكياً قول من قال؟ فنقول للقائل: فإنه قال ذلك وسكت عنه ولم يشر أنه غير معيب الذي قال ذلك القول، فسكوته دال على الموافقة.

وقوله: ورأوا أنه على النصف زاهي. أي حسن فعلى هذا فليس هو مراد الحبشي، ولكن كما يظهر أن مراده أن يكون الشاي في الكأس زائد على النصف بحيث أنه لا يكون مملوءاً كما يفهم من شطر البيت، أي على النصف زاهي، وذلك لو كانت اللغة العربية تساعده على ذلك، ولكن قال في شرح القاموس: وقول الناس زهاء على مائة، أي زائد ليس بعربي، ويقول الشعراء في امتلاء الكؤوس منهم أبو نواس:

إذا العشرون من رمضان مرت ❖ ❖ فواصل شرب يومك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار ❖ ❖ فإن الوقت ضاق عن الصغار

ومنهم شاعر حضرموت في القرن الحادي عشر الشيخ عبدالصمد باكثير:

ما على المحبوب لو وصلا ❖ ❖ وتلاقـى روح من قتـــلا

بالتـلاقي بعد ما وصلا ❖ ❖ وتعاطينا الكؤوس مــلاء

وانتهزنا فرصة الزمن

ثانياً: على شعر ابن عبيد الله:

أمـا ابـن عبيـد الله تنـاول مواضيـع جمـة حـول شـراب الـشاي ووصـفه ومـا يستحـسن في مجالـسه ومنتدياتـه وغير ذلك، ففـي قصيدته النونية التي مطلعها:

في مراح الصبا ومرعى الأماني ❖ ❖ وابتسام الهوى وطيب الزمان

إلا أنه لم يـصرح باسـم لفـظ الـشاي ولـكنـه عبر عنـه بلفظ القهوة، فقد تبع في ذلك الشعراء الخمريين الذي يعبرون عنه بالقهوة الذي هو اسم الخمر لغة كما قال البحتري:

فاشرب على زهر الرياض يشوبه
زهــر الخدود وزهــرة الصهبـاء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الشـ
ـــوق الذي قد حل في الأحشاء

وقال في قصيدته السينية :

على قهوة تشفي الهموم وتجلب السـ

ــرور ولا تجني على العقل والحـس

كما أن المتفننين في الشاي يضاهون مدمني الخمر، فيطلقون عليه اسم الخمر في أشعارهم، وأرباب القهوة قد يعبرون عنها بالخمر ويشبهونها به.

أما ما ذكره ابن عبيد الله في هذه القصيدة السينية وتناول فيها من المواضيع فقد قال: إنها وردة كالدهان. وأنها أي القهوة المشبه بها الشاي أنها طبخت في رياض من النخيل تلاقى الماء فيها بماء السماء، ثم انعطف بوصف هذا النخل وثغوره المشبهات بثغور النساء التي تتبارى، ثم وصف حفيف الرياح حين تتمايل بأن ذلك التمايل معبر عن تهاني، ثم وصف ثمرها وألوانه حين يجنيه الجاني بأنه كالغواني الحاليات، اللابسات الحلي، وهذه الغواني تشبه الآصف، أي الجارية التي بلغت أوان الخدمة، أو التي تم قدها، أي قامتها التي تشبه مناصف ثمر هذه النخيل، وهو أن يكون بَلَحَهَا أي على قول العامة عندنا (فضحها)



منتصفاً بين التمر والبلح، ويشبه أيضاً منظر الشاي في انتصاف الدنان، فقال رحمه الله:

يشبه الآصف المناصف منها ❖ ❖ منظر الشاي في انتصاف الدنان

ولا يفهم فاهم أن قوله في انتصاف الدنان يخالف قوله عند ذكر شعر الحبشي:

امتلاء الكؤوس قالوا معيب ❖ ❖ ورأوا أنه على النصف زاهي

حين قال ابن عبيدالله راداً عليه حين قال: قال رب الأنام كاسها دهاقاً، إلى آخره . فإن هذا ليس من ذاك بمكان، وإنما ابن عبيدالله هنا يصف حقيقة البلح إذا تَمَّر نصفه وبقي النصف بَلَحاً، فهو هنا يصف واقع الانتصاف وليس هو منه ميل إلى انتصاف الكأس التي فيها رد على الحبشي بقوله:

قال رب الأنام كاسا دهاقا ❖ ❖ فاترعوها وخلوا أهل الملاهي

ثم أخذ الشاعر يصف في هذه القصيدة أن القلوب تكاد تنشق مما في تدلي قنوات النخيل من هذه الجنان التي حولها من البساتين والأزهار، فقال: كلما حرك

النسيم غصون هذه الجنان زاد طيباً أريج هذه المغاني، ثم قال: وإذا مر بالمياه كساها من نسيج المحاسن الخسروانية، أي الثياب المنسوبة إلى (خسرواه) من الأكاسرة، حتى قال: وسهام ينقشن في الصدر حصداً. إلى آخره، أي ورُبَّ سهام من الغواني ينقشن في الصدور حصداً، أي قطعاً، أي يقطعن الصدر حصداً أو قطعاً كما تقطع ذلك عيون الدمى، أي الصور المشبهات بها النساء. بأعلى القنان، جمع قنة، أي بأعلى المنازل العالية، ومنه قنة الحبل، أي أعلاه. إلى أن قال في هذه القصيدة بعد ذكر هذه الدمى ووصفهن بالأوصاف الحسنة:

فاسقنيها بغير إثم شمولاً ❖ ❖ تطلق العقل في رقيق الأواني

فإنه لما قال: فاسقنيها ربما يظن ظان في هذا الزمان أن التي طلب السقيا منها أنها الخمر فاحترس رحمه الله فقال: بغير إثم، المشبهة بالشمول أي الخمر. وقال: تطلق العقل، بينما الخمر بعكس ذلك، ووصف تلك الشمول الواقعة في رقيق الأواني. ووافق الحبشي حين قال: إنما الشرط فيه لطف الأواني، غير أن الحبشي جعل ذلك



شرطاً كما تكلمنا على ذلك عند قوله: إنما الشرط فيه لطف الأواني، إلى أن قال ابن عبيدالله:

بين سحر من الحديث حلال ❖ ❖ وأغاريد بلبل وأغاني

فاحترس عن السحر من الحديث بقوله: حلال، وكان ذوق الشاعر يرى أن يكون الشاي أولاً صِرفا بدون مزج، وذلك أنه يحتمل أن يكون ذلك المزج بالماء حتى لا يكون صرفاً بأن يظهر منه ذلك حقيقة، ثم قال: ولا بأس بالمزج لتعجيل ثاني، وهنا أيضاً يحتمل المزج أن يكون بلبن، والأظهر أن يكون الشاي أولا خالصاً، والثاني لا بأس بمزجه ليزيل مرارة الشاي الحاد، ثم قال:

هاتها من شقائق ثم إن ما ❖ ❖ لت برأسي فمن خدود القيان

هاتها، أي هات الكأس من شقائق النعمان الذي هو الزهر الأحمر، وشقائق النعمان الموصوف في قول الشاعر العربي:

من صفرة تعلو البياض وحمرة ❖ ❖ نصاعة كشقائق النعمان

ويطلق عليه بالشقائق بدون النعمان، يقول شاعرنا:

هات هذه الكؤوس المملوءة بالشراب الأحمر المشبه بحمرة الشقائق، قم إن حركت رأسه منتشياً فخفف حمرتها واجعلها كخدود القيان في الحمرة التي أقل من حمرة الشقائق.

ونحن هنا نذكر بيتاً من قصيدة الشاعر الأديب سقاف بن محمد السقاف، والتي قد ذكرناها عند ذكر أشعاره الآتية، فإن هذا البيت فيه شبه بشعر ابن عبيدالله وهو قوله: ثم إن مالت برأسي. إلى آخره، وبيت السيد سقاف هو:

فأرسلت نبرة في الحين فانتفضت

أذني لصوت يذيب الجلمد القاسي

وعلى قوله: فانتفضت أذني، أي تحركت. وقول ابن عبيدالله: ثم إن مالت برأسي، أي حركت، إلا أن هذا في الشراب وذاك في لحن الصوت وذاك في الرأس، وهذا في الأذن، وشتان بين الاثنين، والحركة في الرأس يستطيعها كل ذي رأس، وحركة الأذن لا تستطاع. ثم قال شاعرنا في هذه القصيدة:

إنما العيش روضة ومدام ❖ ❖ وكلام على بساط الأماني
وشراب بجنبه رُطَبٌ غـ ❖ ❖ ـض لذيذ منوع الألوان
وإذا زاد بعد ذلك شيئاً ❖ ❖ فدلال الدمى وشجو المثاني

ولاشك أن هذه الأشياء هي كما قال شاعرنا: إنما العيش، أي اللذيذ منوط بهذه الأشياء التي ذكرها. ثم ختم القصيدة بقوله:

بصعود من السعود اختلسنا ❖ ❖ لذة اليوم من نعيم الجنان

وفي قصيدته السينية التي مطلعها :

يوم كأيام الجنان من الأنس
قضيت بها في الطيب ما تشتهي نفسي
تجمعت الأهواء فيه وعمت التها
ني ولم يعلق بشيء من النحس
صفا لي فلم أهتم بالأمر في غد
وكفر عما كان من هفوةٍ أمس
على قهوة تشفي الهموم وتجلب
السرور ولا تجني على العقل والحس

وفي قوله: على العقل والحس، فقد حذا حذوه في هذا المعنى الشاعر الأديب السيد صالح بن علي الحامد في قصيدته المشهورة التي سيأتي ذكرها:

فيها غنيت عن الذي سلب النهى ❖ ❖ من شأنها والإثم من تبعاتها

وتبعهما شاعرنا الأديب علي بن أحمد باكثير في قوله:

مثل الطلا في لونها وصفائها ❖❖ ونقيضها في رحبها والمأثم

لا نقص عنها فيه إلا أنه ❖❖ حلو المذاق وأنه لم يحرم

وقال في أخرى ك

حاز لطف الخمر إلا ❖ ❖ أنه غير محرم

إلى أن قال ابن عبيدالله في هذه القصيدة :

زجاجاتها كالماء لطفا ورقة

من الروم تأتينا وتأتي من الفرس

متى أصفقت في الكأس كان نشيشها[1]

ألذ من الأوتار في ليلة العرس

أما زجاجاتها كالماء لطفاً ورقة، فهذا الوصف طرقه غالب شعرائنا فأحسنوا وأبدعوا، إلا أن ابن عبيدالله بيّن هذه الزجاجات أي كاسات الشاي فقال: من الروم تأتينا

---

(١) النشيش : الدفع والتحريك، وأصوات الماء عند الصب.



أو تأتي من الفرس، أي صنع الروم والفرس، وتفرد رحمه الله بهذا غير الشاعر السيد سقاف بن محمد الذي قال من قصيدة يصف الشاي فيها :

قاطعاً راسخاً بسكر قبع ❖ ❖ وسط فنجان من زجاجة قيصر

ثم قال رحمه الله: إذا صبت في الكأس كان نشيشها، أي صوت الماء عند الصب أو دفع الكأس وتحريكه ألذ من الأوتار، أي أوتار العود في الليلة المسرة ليلة العرس. ثم قال:

لها صفة من عندم قبل مزجها
كما هي بعد المزج صفراء كالورس

أما وصف شاعرنا بلون الشاي كالعندم وهو شجر أحمر، أو دم الغزال في اللغة، فقد وصف بهذا شاعرنا علي بن أحمد باكثير في قوله:

من باسلامة مثل ذوب التبر أو ❖ ❖ من مشعبي مثل ذوب العندم

وكما قلت :

فاطبخ الشاي وارتشف منه كاسا   قانيا كاختضاب ذات الجمال



وقلت :

تصرم شهر الصوم رمضان وانقضى
فهات لنا صرفاً من الشاي أحمرا

وأما وصف كؤوس الشاي بأنها تجلي الهموم وتبيد الكروب، وإن فيها عزاء لصريع الهم والغم، وأنها تحل عقدة الهموم وتثير النشاط في الأجسام فقد تناول ذلك الحامد في قصيدته المشهورة بقوله رحمه الله :

وإذا الهموم على النديم تكاثفت ❖ ❖ وبدت أشعتها جلت ظلماتها

وقال علي باكثير في المعنى :

إن في الشاي عزاء ❖ ❖ لصريع الهم والغم
لكئيب أو حزين ❖ ❖ أو عميد أو متيم

وقلت في المعنى من أبيات :

فطبخناه واحتسينا كؤوسا   حاكيات لونا عقود اللآلي
فاغتدت عقدة الهموم بجسمي   ذات حل تنحل حالا لحال
رجع الجسم بعد ذاك صحيحا   فكأن قد نشطه من عقال

وقلت أيضاً من أبيات :

داوني من دائي الهموم براح تشف مني بواعث الأتراح

أما ابن عبيدالله في هذه القصيدة السينية فقد حسن المعنى، وأبدع الوصف وأجاد بقوله:

تشف عجاج الموجعات بأدهم
وورد يطاردن الهموم فلا تمسي

وضمير تشف يعود على زجاجات الشاي المشار إليه قبل البيت، فإنه شبه الموجعات أي الأمراض الموجعة بالعجاج، أي الغبار ولما ذكر شف الموجعات والغبار مما يناسب إلا دهم الخيول، وأحمرها أي الذي شبه الورد في احمرار والذي تشوبه صفرة، فالأدهم الأحمر الخالص الناصع، والذي كالورد أي أحمر مع صفرة، وبقي شاعرنا يتابع المعنى بقوله: يطاردن الكروب حتى لاتمسي إلى أن قال:

ترشفتها في يوم دجن كأنما
ترشفت بالكاس الرضاب من اللعس

اللعس سواد مستحسن في الشفة، ونسوة لعس، أي



في شفاههن سواد، وقوله ترشفتها في يوم دجن، أي غيم، ويوم الدجن هذا كثير ما يذكره الشعراء في أشعارهم حول خروجهم إلى منتزهاتهم في البساتين والأشجار والحدائق، ومنهم شاعرنا الكبير شاعر القرن الحادي عشر بحضرموت: عبدالصمد بن عبدالله باكثير الذي يقول في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

رق المدام وراق الوقت فاسقني ❖❖ على بساط أزاهير الرياحين

إلى أن قال:

أيمضي الدجن لاشرب ولاطرب ❖❖ لا والضحى قسما والشرح والتين

إلى أن قال ابن عبيدالله في هذه القصيدة:

كأني من الدنيا انفصلت لعالم
سليم من الآلام ملآن بالقدس
على اليمن والإقبال في ظل روضة
وعيني من اللذات ترنو إلى خمس
كتاب وبستان وكاس وقينة
وسيدة من دونها طلعة الشمس

وقد أخذ المعنى من قول أبي نواس :



أربعـة يحيـا بهـا ❖ ❖ قلب وروح ويـدن
الماء والخضرة والخمـ ❖ ❖ ـرة والوجه الحسن

إلى أن قال في هذه القصيدة وأخذ يصف حالته في بني جنسه:

بها سلوتي في خلوتي كلما طغت
على خاطري في خلوتي وحشة الأنس
وفيها عزائي في الخطوب وراحتي
إذا ضاق صدري من لئام بن جنسي
فقد برمت نفسي بما يضمرون لي
ولكن تلكم من عداوتهم تنسي
فكم دبروا لي ظالمين مكيدة
فجاءت ولله المحامد بالعكس
يريدون لي عيباً فألفوا نزاهة
تردهمُ عني بألسنة خُرس
وإن زوروا عني يئول افتراؤهم
بما كان مني من تحرٍ إلى عكس

وفي مثل ذلك يقول ابن عبيدالله في قصيدته السينية في وصف يوم سرور ونزهة مع أحبابه:

ما كان يلتف في ذيل الدجى القبس
إلا وصحبي إلى حي الدمى اختلسوا



إلـى ريـاض قـد التفـت خمائلهـا
يكــاد منهــا خـريق الريـح يحتبس

خريق الريح: أي مهبها ، على أن قال:

يبكي الحمام ويرفقن الغمام ويستجـ
ـــلى الـمـدام ولا واش ولا حـرس

يستجلي المدام: أي الشاي المشبه بالمدام، أي الخمر المحرم، إلى أن قال رحمه الله: كما يذاب النضار الصرف رونقه. أي الذهب الخالص الأحمر. وقوله: ولا صداع، وهو الذي يعتري شارب الخمر حتى قال: ولا إثم ولا هوس، والهوس بالتحريك الدوران بالرأس أو الدوي، وذلك كله في قوله:

كما يـذاب النضار العـرف رونقــه
ولا صـداع ولا إثــم ولا هـــوس

إلى أن قال :

ظلـوا عليه نشـاوى والكواعب يسـ
ـحبن الذيــول ولـم يعلق بهــا دنس

واحترس بقوله: ولم يعلق بها دنس، أي وسخ حيث شبه الذنب بالوسخ، إلى أن قال :

مالوا إلى كل لهو منه فائدة
تثني العدا وبهم من حله خرس

وقوله رحمه الله: إلى كل لهو فيه فائدة، كلهوِ النبي ﷺ لما قال للأنصارية: هل عندكم من لهو؟ كما في الحديث الذي رواه البخاري، لأن اللهوَ الذي فيه فائدة مستحسن وهو لهو العقلاء والمفكرين الذين يستفيدون حتى من اللهو فوائد، وهل تدري ما هو اللهو الذي فيه فائدة؟ وذلك ما يطرب السامعين سماعه مما يغني به المغني والحادي والمطرب بالأشعار التي حوت من العلوم التي تشوقهم إلى ذكر أوصاف العلماء والعقلاء، والتي لا تخلو من الحكمة والأوصاف الحسنة، وحتى شعر الغزل الذي لا يخلو منها، ومن المعاني الرقيقة الطيبة والتي ليس فيها ذكر أوصاف شخص معين، وأما اللهو الذي ليس فيه فائدة فلا يليق لهؤلاء الذين لا يمضون وقتاً من الأوقات حتى اللهو بدون فائدة كما قال الشاعر:

إذا ما مضى وقت ولم أكتسب علا
ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

ويعجبني في هذا الموضوع ما روي عن الخليل بن أحمد أنه تلاقى مع بعض تلاميذه فقال له: يا أبا فلان أين تريد؟ قال له: خرجت من البيت ولم أدرِ أين أريد! فقال له: لا تخرج من بيتك إلا إلى فائدة أو مائدة أو عائدة، لأن العظماء والمفكرين من العلماء لا يمضي أي وقت عليهم إلا وفيه لهم فائدة.

حتى قال شاعرنا: تثني العدا، أي الأعداء والحساد حتى ترجعهم من أجل حل هذه الفائدة خرسا، أي لا يستطيعون الكلام والإشاعة، لأن هذا اللهو الذي فيه فائدة حلال فهو يشبه ما قال مجدد النهضة الأدبية الحضرمية السيد أبوبكر بن شهاب:

وإني لمن غير الحديث مبرءاً ❖ ❖ وإن وشوش الواشي براءة صفوانا

وقوله: لمن غير الحديث الحلال، وكما قال الشاعر الأديب السيد صالح بن علي الحامد في قصيدته الآتية:

أوتيت ذاك اليوم لذاتي ولـ ❖ ❖ ـكني كففت النفس عن حرماتها



ثالثاً: على شعر الحامدي:

أما شاعرنا الأديب السيد صالح بن علي الحامد فقد كان أقل الشعراء شعراً في الشاي، فلم أجد له غير هذه القصيدة الفريدة، وقد تناول مواضيع حول شرب الشاي ووصفه، وعن النديم حوله إلى غير ذلك، فقال:

روق لهـا مـاء الغمـام وهاتها
لـي والحبـاب يدور في جنباتها

روِّق لها أي لكأس الشاي ماء الغمام أي المطر، أما قوله: والحباب يدور في جنباتها، أي أنه ليس فيه مزية ظاهرة للكأس فعندي سواء دار الحباب في جوانبها أو لم يدر، وأما قوله: ماء الغمام فهو قول أبي الطيب المتنبي:

أثغرك أم ماء الغمامة أم خمر ❖ ❖ بفيَّ برود وهو في كبدي حر

أما ذكر الحباب في الكأس فقد سبقه إلى ذلك الحبشي في أبياته التائية بقوله:

يحسبه الشارب من لطفه ❖ ❖ كأنه راح علاه الحبب

وشاعرنا زيد المعنى بقوله:

من جيد الشاي استحال عصيرها

فأتت تحاكي الشهب في جاماتها

فإنه شبه الكأس الذي فيه الحبب بالشهب أي النجوم وقد تفرد على شعرائنا بهذا الوصف دونهم، ومما حارتا الإحسان في هذه القصيدة هذان البيتان:

قد راق منظرها ورق زجاجها

فلعلة لم يدهقوا كاساتها

لولا اتصاف الكاس خيل أنها

في كف ساقيها تقوم بذاتها

فقد خلب عقول أدبائنا الشباب هذا التعبير والوصف الحسن، ولكني أقول لهم مصيبون في ذلك، لو لم يكن شاعرنا أخذ هذا المعنى من الشعراء قبله كقول البحتري:

يخفي الزجاجة لونها فكأنها ❖❖ في الكف قائمة بغير إناء

وقول أبي الطيب المتنبي:

لها ثمر تشير إليك منها ❖❖ بأشربة وقفن بلا أواني

وقال الشاعر الكبير أبوبكر بن شهاب:

رق مرءآها ورقِ جامها ❖❖ هي والجام ضمير مستتر



إلى أن قال شاعرنا:

يا ساعة مـرت كلمحة بــارق
ذاقت بها نفسي نعيم حياتهـا
عاطيت فيها الكاس خودا كاعبا
ماء الشباب يجول في وجناتها

ومن قول شاعرنا: عاطيت فيها الكأس، إلى آخره، يظهر فيه أنه هو الذي يتولى طبخ الشاي ويعطي محبوبته الكأس، وبهذا فقد تفرد شاعرنا على الشعراء بذلك إذ لم يشر منهم أحد غيري كما قلت:

فـأشـار الفكـر عليَّ إن شيئـ ـــت الخلاص من هذه الأثقال
فاطبخ الشاي وارتشف منه كاسا قانيا كاختضاب ذات الجمال

وغير السيد سقاف بن محمد السقاف حيث يقول:

ولعت بالشاي بالفنان يطبخه
حلو الحديث خفيف الروح مياس

ومن تأمل شعر بقية الشعراء يجد أنهم حسبما يظهر أن الشاي يطبخه غيرهم لهم، فلم يباشروه بأنفسهم، غير أن قول السيد صالح في مطلع القصيدة: روق لها ماء الغمام

وهاتها، يدل على أن الطباخ غيره، ثم استطرد شاعرنا في وصف هذه الخود الكواعب إلى أن قال:

جاءت إليّ وخدها متورد ❖❖ جزعاً لخوف رقيبها ووشاتها

حتى قال:

أوتيت ذاك اليوم لذاتي ولـ ❖❖ ـكني كففت النفس عن حرماتها
الله يعلم ما هممت بريبة ❖❖ فلتذهب الغوغاء في تهماتها

وأنا أقول: أما قوله ما هممت بريبة، فإن الهم بالريبة لا يستبعد من غير المعصوم، ومع ذلك فقد صرح النبي يوسف صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وهو المعصوم حيث قال الله عنه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ وإن أوَّل الهم مفسرو الآية وأكبروه بالنسبة له وقالوا: هَمَّ بها أن تكون زوجته، وقيل: هَمَّ بضربها وغير ذلك.

رابعاً: على شعر علي أحمد باكثير:

وعلى قصيدته التي عنوانها (وداع رمضان) إلى أن قال فيها:

واقـذف شياطين الهموم بأكـوسٍ
تنقضن مـن (برَّاد) شـايٍ معلـم
مخضـرة جنباته فاعجـب لـه
مـن جنـة خضراء فـوق جهنـم

وقد تفرد شاعرنا رحمه الله من دون الشعراء بذكر البراد وهو الإناء الذي يطبخ فيه الشاي ويصب منه، وثاني أوانيه البخاري أو السماور المعروفين عندنا، وثالثهما الفناجين، أي الكؤوس، ثم إن شاعرنا وصف ذلك البراد بأن جنباته مخضرّة، ثم شبه تلك الخضرة بالجنة، ثم تعجب هل تكون الجنة الخضراء فوق جهنم، أي أن البراد لما تأجج بالنار من نار البخاري، فكأنه جهنم في تأجج ناره، ثم وصف ذلك الشاي بأنه يفوز من يشربه بلثمة من خدود الحسان ومباسمهن في قوله:

شـاي يفـوز من احتساه بلثمة
مـن كل خد في الحسان ومبسم

ونحن لم يظهر لنا قوله: يفوز من احتساه بلثمة، هنا أي مع شراب الشاي إلا أنا نقول: إن المرأة الحسناء إذا جلست بالشراب وازينت لمجلسه ورءآها المولع بحبها فيقبلها في هذه الفرصة السانحة ويفوز بلثمة في خدها ومبسمها وغيره، ثم وصف شاعرنا هذا النوع من الشاي فقال: من باسلامه مثل ذوب التبر في اللون أو من مشعبي، مثل لون العندم، أي الشجر الأحمر.

ولماذا وصف الشاعر باسلامه مثل ذوب التبر في اللون، ووصف المشعبي بلون العندم الأحمر الناصع؟

فنقول: وصف الأول بذلك لما كان كثير الحدة، فلا ينبغي أن يكون أحمر ناصعاً وعكسه المشعبي كما يعرف ذلك من جربه وله معرفة بالنوعين، وهذان النوعان قد اشتهرا أيام شاعرنا بالبلاد سيوون، وأما بعده فقد ظهرت أنواع أخر: (عطاسي وبن طالب) كما سيأتي ذكرهما فيما يلي عند ذكر بعض أشعار الشعراء الباقين، إلى أن قال شاعرنا:



فاشربه متخذاً نديمك كل ذي
أدب متى نادمته لم تندم

وقد ذكرت فيما تقدم أن شعراءنا اختلفوا فيما يقدم عند طبخ الشاي، أهو أنواع الطرب أم الندماء من الأدباء والعلماء، أم الكتاب المفيدين أدباً وغيره من العلوم، وهنا اختار شاعرنا نديماً كل ذي أدب من الأدباء، وكل أبدى حسبما يمليه عليه ذوقه، ومن الأدب رأى شاعرنا أن يستحضر المجلة التي كانت تصدر من مدينة سيوون فقال:

واستحضر (التهذيب) واصطحبا على
عدد جديد بالطرائف معلم
قبس تألق من سنا حرية
سيكون فاتحة النهوض الحضرمي

ويقول شاعرنا في رواية (همام) وقد أسرف في مدح الشاي رحمه الله:

شراب الشاي خير لي   من الدنيا وما فيها
إذا ما أقبلت كاس   كخود في تهاديها
تولى الهم من نفسي   ودانت لي أماليها

ولقد زاد شاعرنا في سرف مدح الشاي أيضاً في قوله:

ما قيمة الدنيا عزاء ❖❖ لصريع الهم والغم
لكئيب أو حزين ❖❖ أو عميد أو متيم
من صفاء اللون في الصـ ❖❖ ـين وحسن الذوق في الفم
هو مسلات أديب ❖❖ فيه عن بلواه معصم
ورسول للتآخي ❖❖ يجمع الناس وينظم

ولقد صدق شاعرنا حيث قال: ورسول للتآخي يجمع الناس وينظم، فهو كما قال إن مجلسه رسول للتآخي، فكم جمع من أصحاب وألّف بينهم بالتزاور والاستفادة من بعضهم البعض بالعلوم والأحاديث الشيقة، وإنشاد القصائد الأدبية، وهذا كله مشاهد، ومن أجل هذه فقد أحب الأدباء والعلماء مجالس الشاي سابقاً ولاحقاً.

وبعدما أطال شاعرنا في مدح الشاي ووصفه بهذه الأوصاف الحسنة، استدرك بدون أداة استدراك، ولكنه أبدل ذلك بغير في قوله رحمه اللّٰه.

غير أن القصد في الأشياء منجاة ومغنم
فغلونا فيه حتى صار فينا يتحكم

وغدا وهو على القوت الضروري مقدم
وشربناه بلا وزن وتقدير منظم
فلكم سلبنا المال وكم يسقمنا كم
ولكم أنحى على بيت كريم فتهدم
ولكم عائلة جرعها صابا وعلقم

والقصد في الأشياء كما قال شاعرنا: منجاة ومغنم من الإسراف والتبذير.

أما عندي فإن في الأشياء غير الشاي، فإنه لدي مستثنى من الأشياء، لأن الشيء الذي تميل إليه النفوس وترتاح الخواطر وتطيب به المجالس فلا ينسب إليه شيء من الإسراف والتبذير، كما قال الشاعر البحتري:

كرم دعتك به القبائل مسرفاً ❖❖ ما مسرف في المكرمات بمسرف

على أن كثيراً من الأشياء ليس الشاي فحسب يكثر من العائلات الأسرية الإسراف فيه، لاسيما في بيوت الأثرياء فكم بالغوا فيه، وقد كثرت المبالغة في تقديم سفر من أنواع المأكولات والمشروبات والملذات، فذاك للقادرين عليه محمود وفيه ما يكسب المودة والإخاء

والمراحمة والمزاورة ما ينافي الاقتصاد. نعم فنحن مع شاعرنا إذا كان ذلك من ذوي الفقر والإملاق فيتكلف أربابه مع عدم استطاعتهم ذلك، فيعود عليهم بالإفلاس والديون، فإن ذلك غير محمود لهم، ويكون ذلك إسرافاً وتبذيراً.

إلى أن قال شاعرنا من القصيدة :

ولقد زاد بلاء	أنه في قطرنا عم
فهو في القصر وفي البيـ	ـت وفي الكوخ المرمرم

وماذا على شاعرنا أن يقول، فهو في القصر وفي البيت وفي الكوخ المرمرم، وماذا عليه لو لاحظ بيت أبو العلاء المعري:

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي ❖❖ سحايب ليس تنتظم البلادا

وماذا عليه لو أبدل البلاء بعكسه لما قال: وزاد بلاء، وأحب أن يتمتع الناس أجمعون بشراب الشاي ليتنعموا بالراحة والنشاط كما أحب هو وتنعم به، وكما قال النبي ﷺ (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه).

وهذا الشعر قاله شاعرنا منذ سنة ١٣٥٢هـ فكيف لو رأى ما بعد هذا التاريخ إلى يومنا هذا لرأى ذلك في جميع الأماكن ليس في القصر والبيت والكوخ، بل حتى في الأسواق والمقاهي والطرقات وغيرها، وأن الشاي أصبح من أكبر الضروريات التي تعودها كل ذي روح من الناس، لا فرق بين غني وفقير، ولا رافع ولا نازل، ولا زارع ولا عامل، ولا غيرهم.

نعم بقي علينا أن نذكر هنا ونلاحظ على ما أسرف وتعمق به الناس في وقتنا الحاضر من الإسراف والتبذير في أدوات الشاي وجميع أنواعه من التفنن فيها والتعدد في ألوانها، حتى أنهم لا يستعملون إلا كل أبيض ناصع منها، حتى ما يستعمل للفحم (أي السخر) الذي يغلى به الشاي، وغير ذلك مما هو مشاهد في هذا الزمن وقبله مما يستهجنه كل عاقل مفكر، فإن هذا كله مما يبعث على السرف والتبذير المحوقين.

خامساً: على شعر المساوى:

فاصطبح واغتبق كؤوسا:

ويقول السيد الشاعر الأديب محمد بن شيخ المساوي هذه الأبيات في وصف الشاي:

نسخت آية المدامة آيا ... ت من الشاي هن أم الكتاب
فاصطبح واغتبق كؤوساً من الشـ ... ـاي تسامت على كؤوس الشراب
تجلب الأنس والسرور إلى القلـ ... ـب ولا تستهين بالألباب

يؤخذ من قول شاعرنا: نسخت آية المدامة إلخ. أنه نظم هذه الأبيات منذ زمن سابق، أم أنه لم يعبأ بوقتنا الحاضر هذا، لأن في وقتنا هذا أن آية الشاي لم تنسخ آية المدامة، بل كلا الآيتين قد أصبحتا اليوم جار فيهما العمل، فقد شاع في الوطن شرب الخمور وعمله في هذه الأرض الطاهرة التي لم تعرفه، كما خشي من وقوع ذلك قبل أن يعرف له وجود في الوطن فضيلة العلامة الشاعر الكبير ابن عبيدالله في بعض قصائده الاجتماعية محذراً من وقوعه بقوله رحمه الله يستنجد بعض ملوك المسلمين

بنصره على أعداء الدين ويحذر من الاستعمار:

وبادر بنصر بركس الظلم في الزبا
وينشق وحش القفر من حرية اللحم
فقد يطمع الريث النصارى وقومنا
بتقريبهم في الأرض من جهلوا هموا
وأخشى من التبشير ينجح عندنا
ويظهر بين الناس ما تنسل الكرم

بركس يقلب، أي يقلب للظلم ويسقطه على رأسه بعدما كان في الزبا، أي رافعاً، وقوله: وينشق وحش القفر من حريه للحم، أي يشبع التي في القفار حتى تتخم من الحرب، أي تشبع من لحوم الموتى من الناس أولي الظلم، وقوله: فقد يطمع الريث النصارى، يعني إذا لم تبادر بالنصر يطمع النصارى في استعمار الأرض، وأن قومنا بتقريبهم هموا، أي من جهلهم هموا بالتقريب والالتجاء إليهم، وذلك يدل على أن قوله هذا قبل أن تستعمر الأرض.

وعلى قول شاعرنا: هُنَّ أم الكتاب، فلعل بعض

الناس ينكر أن تكون آيات الشاي أن تشبه بأم الكتاب، أي فاتحة القرآن، فنقول له إن شاعرنا لا يعني بأم الكتاب هنا إلا أي كتاب من الكتب، ليس أم الكتاب.

وعفواً أيها القارئ فإني لا أحلم إذا قلت أن هذا من تكهنات الشاعر أنه يعني بها أم كتابي هذا (أكواب الشاي) ومما يقرب هذا الحلم إلى الحقيقة إذ أنه يعني بالآيات هنا آيات الشاي فهذا لا يستبعد أن يكون حقاً كما قلنا.

ومما تفرد به شاعرنا على شعراء الشاي حيث أنه ذكر الغبوق والاصطباح، أي شرب الشاي في الصباح يسمى اصطباحاً، والغبوق ما يشرب عشاء، فإن غيره لم يتعرضوا لذلك، إلا أنني قد ذكرت ذلك في قولي من أبيات في الشاي:

لو رآه أبو نواس لأضحى هاجياً بالقصيد شرب الراح

أو به ابن المعتز يدري لأمسى هاجراً للغبوق والاصطباح

كما تأتي بقية الأبيات عند ذكر شعري في الموضوع.

أما معنى البيت الثالث وما ذكر فيه شاعرنا من أنه يجلب الأنس والسرور، ولا يستهين بالألباب فقد أكثر شعراؤنا من ذلك كما يراها القارئ.

سادساً: على شعر سقاف:

الشاي وريق الحبيب

هذا عنوان قصيدة قالها الشاعر السيد سقاف بن محمد السقاف في وصف الشاي وريق الحبيب:

كاس من الشاي أغناني عن الكاس
الشاي أظهر خافي الشعر من راسي

لقد تفرد شاعرنا بهذا المعنى على جميع الشعراء، وهو أن الشاي أظهر خافي الشعر من رأسه، أي أنه بعد ما شرب الشاي فقد ساعده على إظهار أشعاره، إلى أن قال:

ولعت بالشاي بالفنان يطبخه
حلو الحديث خفيف الروح ميّاس
حادثته وهو يسقيني ويلعب بي
ويمزج الريق خرج الشهد في الكاس

ما تلته في تصابيه فأسكرني
مع الدلال وطبع فيه حساس
كما تمنيت في شكل وفي دمة
صيغت من الدر أو صيغت من الماس

إلى أن قال:

قالت أتحسن وصف الغانيات وألـ
ـوان الزهور ووصف الدر والآس

وقوله: ووصف الدر والآس، أما الدر فمعروف، وأما الآس فغير معروف في اللغة العربية كما بحثت عنه في القاموس وشرحه. إلى أن قال:

أو حانة من خمار الشاي لا مية
من شاي سيوون أو من شاي عطاس

هذان النوعان من الشاي ممن تفرد بذكرهما شاعرنا، وقد ذكر الشاعر علي بن أحمد باكثير نوعين آخرين هما: (باسلامه ومشعبي) وقد ذكرت في بعض أشعاري نوعين آخرين هما (الهندي وابن طالب) كما سيأتي ذكرهما. إلى أن قال شاعرنا في القصيدة:

قالت تميل إلى الألحان قلت نعم

ما في الشراب ولا في اللحن من باس

فأرسلت نبرة في اللحن فانتفضت

أذني لصوت يذيب الجلمد القاسي

أما قول شاعرنا: ما في الشراب من باس مطلقاً حيث أن في بعض الشراب باس، نعم الشراب الحلال ليس فيه باس، وغيره ففيه ألف باس، وشاعرنا هنا لم يحترس.

وأما قوله: فانتفضت أذني، أي تحركت فقد تكلمت على هذا البيت في مؤلفي (شعراء سيوون) وقلت انتفاض الأذن لا يستطاع لكل إنسان ولكنه من استطاعة الشاعر أو من كراماته الخارقة، ووددت لو قال: فذابت نفسي لصوت يذيب الجلمد القاسي، وفي ذكرنا لشعر الشاعر الكبير ابن عبيدالله فيما تقدم عند ذكر قوله:

هاتها من شقائق ثم إن ما   لت براسي فمن خدود القيان

قلنا معنى هذا البيت شبه بيت السقاف وهو قوله: فأرسلت نبرة، إلخ. إلا أن بيت ابن عبيدالله في كؤوس الشاي وهذا في لحن الصوت، وذاك في الرأس وهذا في

الأذن، وشتان بين الاثنين، والحركة فيهما مجاز لا حقيقة.

ثم إنه بدالي حال كتابتي هذا ما يحتمل أن يكون بيت السيد سقاف صحيحاً وهو إذا قلنا أن قوله: فانتفضت أذني، من إرادة البعض الذي يطابق على الكل، فإن الأذن بعض الرأس فمعنى انتفضت أذني أي انتفض رأسي، ومثل ذلك كثير في الكلام العربي، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ قال الجلال في التفسير: لا يركعون أي لا يصلون، وعلى قوله (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ) لأن الأذن لا تحتمل إدخال الأصابع في آذانهم فوجب أن يكون المعنى كما قلنا والتقدير يجعلون إصبعهم، وعليه فيصير البيت صحيح المعنى لا إشكال فيه.



سابعاً: على أشعار نادي القلم:

يوم السرور:

وعلى أبيات السيد الأديب محمد بن حسن السقاف:

يوم السـرور لقد كسبت فضيلة

وجمعت أفذاذاً من الشعـراء

كاس الشراب يدور فيما بينهـم

في فسحـة قد رق كالصهبـاء

وعلى قوله: قد رق كالصهباء، أي رق الكأس الذي هو كالصهباء، أي الخمر وهو وصف له وما بعده حشو، أي كأس الشراب رق كالصهباء إلى أن قال من الأبيات:

والأنس قد صرف الخيام وكلنـا

سكرى على جبل من الغـبراء

فقد قال شاعرنا الحق حيث قال: على جبل من الغبراء، أي لأن جبال سيوون قاحلة غبراء لا خضرة فيها ولا شجرة.



على شعر السيد سقاف بن محمد السقاف:

زينوا الفسحة:

زينوا الفسحة بالشعر	وبالشاي اللذيذ
إنكم للشعر أهل	ولكاسات النبيذ

أما قوله للشعر أهل، فنقول له نعم نعم، وأما لكاسات النبيذ فنقول له لا لا ، إلا إن أراد بكاسات النبيذ أي الشاي المنبوذ في الكاس، وهو مراد الشاعر، والدال على حالة هؤلاء الشعراء واللائق بهم إلى آخر الأبيات التي أطرى بها النادي حسبما أملاها عليه ظنه في رجال (نادي القلم).

ثامناً: على شعر المؤلف:

وقد قلت هذه الأبيات مشاركاً في وصف هذه الفسحة.

يافسحة

يافسحة كم رأت عيني بها طرفاً	من القصيد الذي هـا أنا منشده
في سفح ذا الجبل المأنوس فسحتنا	يكاد يصفح عن ذا الإنس جلمده

إلى آخر الأبيات التي ليس فيها شيء من الغموض أو مايستحق التعليق عليه حتى نتكلم على ما يلزم على ذلك، ولا فيها معاني أو شيء يجب التنبيه عليه يوافق ما تقدم أو يخالفه.

تاسعاً: متى تضع الحرب أوزارها:

على هذه القصيدة التي من نظم جميع أعضاء نادي القلم:

متى تضع الحرب أوزارهـــا	وتنشر في الناس أخبارهـــا
فإنا بلينا بهذي الحـــروب	سئمنا الحياة وأوطارهـــا
مللنا المجرش في شـاينـــا	وشاي الهنود وأشجارهـــا

وهنا ذكر الشعراء السكر (المجرش) الموجود الآن وعليه العمد والاستعمال الذي ملّهُ الشعراء ذلك الزمن، وذكروا أيضاً الشاي الهندي الذي لم يذكره غيرهم، فقد ذكروا أنواعاً أخرى تقدم ذكرها.

وقلت في روايتي (أبي اليقضان) {أبي اليقضان أو تأثير الحرب بداخل حضرموت رواية شعرية للمؤلف} رواية شعرية في



ذكر الشاي والحنين إلى الشاي ابن طالب نوع من أنواعه الجيدة :

الشاي ابن طالب

لعمرك ما لذيذ الشأي إلا تجمع في ابن طالب الشهير
هو الشاي الذي في الكون أضحى على شتى المشارب كالأمير
لحى الله الحروب وموقديها وقادح زندها اللهب المثير
لقد حجبته عنا أي حجب وقد يرد المنازل بالكثير

لقد خصت هذه الأبيات مدح الشاي ابن طالب بأنه هو الذي في الكون أضحى أميراً على شتى المشارب الأخرى، وأن الحروب حجبته عن أن يباع في الأسواق حتى يرد المنازل والمحلات للشاربين له حتى قلت:

وأصبح غالي الأثمان حتى غدا في الأرض منقطع النظير
إذا ماشيب بالقبع المصفى فقل ماشئت في بنت العصير

وقلما يتذكر المتذكر الذي حضر الزمن المتقدم والزمان الحاضر بهذين البيتين حالتنا الحاضرة ما ذكر فيهما أن الشاي المسمى (ابن طالب) أصبح غالي الأثمان

وأنه منقطع النظير للحروب، فبذكر هذا يذكر المتيقظ الشاي الذي كان يتلذذ به الشعوب قبل اليوم الشاي المعدوم (أبو ولد) الذي كان يتمتع بشربه الناس منذ هذه السنين الفائتة، حتى عدم بالكلية اليوم بدون حرب ولا غيرها، ومثل ذلك السكر الجامد والذي يطلق عليه (القُبع) فإنه اليوم يكاد يكون معدوماً، وقد بلغ ثمن الراس منه الواحد دينار ونصف، فإن البيت يقول: إذا مزج الشاي ابن طالب بالقبع الصافي فقل ما شئت في لذته وعذوبته، فكأنه بنت العصير، أي الخمر الذي يعصر من العنب، إلى أن قلت هذه الأبيات:

ومهما ذقت كاساً بعد كاس ... فقد متعت بالفكر المنير
فأبدلنا بهندي رديٍ ... بديلاً عنه في الزمن العسير
وبينهما تجلى الفرق ذوقاً ... لذي ذوق وذي لب وفير

فإن هذا الهندي أشبه بالشاي الذي نستعمله في هذا الوقت الحاضر وكأننا في حرب عالمية وليس هناك حرب ولكنه حرب اقتصادي منظم.



عاشراً: بقية أشعار المؤلف:

وقلت في روايتي أبي اليقظان في الموضوع:

لا تذكروا ابن طالب　　لنا فذكراه نكد
إنا نسيناه كما　　ينسى الجنين الملتحد
قد كان تأساء لنا　　ومؤنسا ومعتمد
إذا شربناه ذهلنا　　عن أحاديث البلد
كأننا في جنة الخلـ　　ـد إذا الشرب معد
إذا شربنا مرة　　فقد سكرنا للأبد

إلى أن قلت:

حننت إذا شربته اليـ　　ـوم ليوم قد نفد
يا ليت أياماً مضت　　على شرابه ترد

إلى آخر الأبيات في الموضوع، وهي تكاد أن تكون شرحاً للشاي ابن طالب فلا تحتاج إلى شرح وتعليق.

وقلت أيضاً في غير هذه الرواية كما هو مثبوت في ديواني الثاني (الشعر المطلق).

قيدتني الهموم:

وأما القصيدة التي مطلعها :

قيدتني الهموم في البيت حتى   صيرتني وانٍ عديم احتمال

فإنها لم تأتِ على شيء يزيد على ما جرى للشعراء في الموضوع من زيادة عدا ذكر الشاي العطاسي الذي تفرد بذكره الشاعر سقاف فقط، وكل ما فيها من أبيات في وصف الشاي من أنه يزيل الهموم وينعش الجسم، إلى آخر الأبيات المتقدم ذكرها.

داوني من داء الهموم:

والقصيدة التي أولها:

داوني من داء الهموم براح   تشف مني بواعث الأتراح

فهي أيضاً لم تأتِ بجديد على ما تقدم من شعر الشعراء، غير أني ذكرت أن هذا الشاي لو رآه أبو نواس لأضحى هاجياً بقصيده شرب الراح في الخمر التي يعتاد شربها، وكذلك ابن المعتز لو به يدري لأمسى هاجراً للغبوق والاصطباح، وقد أشرنا إلى ذلك عند ذكر أبيات

المساوى كما تقدم.

تصرم شهر الصوم

وقلت هذين البيتين متشوقاً إلى شرب الشاي نهاراً طيلة شهر رمضان:

تصرم شهر الصوم رمضان وانقضى
فهات لنا صرفاً من الشاي أحمرا
ثلاثون يوماً لم نذق منه قطرة
لقد طلت يا شهر الصيام على الورى

وفي هذين البيتين تقمصت ذوق شاعر مصر أحمد شوقي في قوله:

رمضان ولى هاتها ياساقي ❖❖ مشتاقة تسعى إلى مشتاق

والله يعلم السر وأخفى، إن الذي أعتقده في شاعر مصر أنه يعني بقوله: هاتها أي بنت الكرم شجرة الشاي، وشتان بيني وبينه في ذلك، هذا حلال مطلق، وذاك حرام طلق، فإن صح اعتقادي فأرجو من الله أن يغفر له ذلك كما طلب المغفرة الشاعر البحتري في هناته حيث قال:



وليلـة الشك وهـو ثالثنا ❖❖ كانت هنات والله يغفرها

فرحمة الله الواسعة على الشاعرين وهو أرحم الراحمين.

لا أشرب الشاي:

هـذه أبيـات قلتهـا سـابقاً أيـام إكبـابي وشـدة ولـوعي بطلـب العلـم والمثـابرة علـى المطالعـة والبحـوث العلميـة، والـدروس والمراجعـة خوفـاً مـن شـراب الـشاي والـتروح بالأشعار والأناشيد أن تشغلني من ذلك على الطلبة، وما نعقد فهمه من كتاب العلماء فتركت ما تصبو إليه نفسي من الملهيات والشواغل عن ذلك:

لا أشرب الشاي هذا اليوم أجمعه
ولا أروح نفسـي بـالأنـاشـيد
لكن أعبِّدُ من صعب المعـارف مـا
أمسى خفيـا بإيجـاز وتعقـيد
حتى يراهـا سليم الذوق ظاهـرة
كغادة ظهرت تسمـو على الغيد




الفصل
الثالث



انعطاف ونظرة إلى ما تقدم

وفي آخر المطاف أقول لقد ذكرنا فيما تقدم آراء الشعراء المولعين بشراب الشاي عما يحسن أن يكون نديماً للشاربين الملتفين حوله، فقد نوه بذلك أكثرهم في هذه الأشعار إلا أنهم قد اختلفوا حسب آرائهم وأذواقهم في ذلك.

رأي الحبشي:

أما رأي الحبشي فقد استحسن أن يحضر عند احتسائه رجال الأدب، فقد قال في أبياته البائية:

وإن تقل صرح لنا باسمه فقد قضينا في اسمه بالعجب

فإنه الشاهي ولا يحتسي كؤوسه إلا رجال الأدب

رأي ابن عبيدالله:

أما رأي ابن عبيدالله فقد استحسن أن يكون ساقي الشراب بين سحر من الحديث الحلال، أي حديث الغواني، وبين أغاريد بلبل، أي مغني في صوته حين يغني مثل البلبل الطائر رخيم الصوت، ثم إنه حصر ذلك في ستة أشياء

فقال رحمه الله :

فاسقنيها بغير إثم شمولا   تطلق العقل في رقيق الأواني
بين سحر من الحديث حلال   وأغاريد بلبلٍ وأغاني

إلى أن قال:

إنما العيش روضة ومدام   وكلام على بساط الأماني
وشواء بجنبه رُطبٌ غضٌ   لذيذ منوع الألوان
وإذا زاد بعد ذلك شيئاً   فدلال الدمى وشجو المثاني

وفي قصيدته السينية قال والحال أنه في ظل روضة وعينه تنظر من اللذات إلى خمسة أشياء كما قال رحمه الله:

على اليمن والإيمان في ظل روضة
وعيني من اللذات ترنو إلى خمس
كتاب وبستان وكاس وقينة
وسيدة من دونها طلعة الشمس

وفي قصيدته السينية الأخرى يرى أن مجلس الشاي يحسن فيه اللهو الذي فيه فائدة، وتكلمنا على ذلك فيما تقدم على شعر ابن عبيدالله حتى قال:

مالوا إلى كل لهو فيه فائدة ❖❖ تثني العدا وبهم من حله خرس



رأي الحامدي:

أما الحامدي فقد رأى أن يعاطي الكأس خوداً كاعباً كما قل في قصيدته:

عاطيت فيها الكاس خودا كاعبا
ماء الشباب يجول في وجناتها

رأي علي باكثير:

أما رأي علي باكثير فقد رأى أن يتخذ في مجلس الشاي كل ذي أدب حال الشراب فقال:

فاشربه متخذاً نديماً كل ذي ❖❖ أدب متى نادمته لم تندم

رأي سقاف:

أما رأي سقاف فقد رأى أن يكون طابخ الشاي فناناً في الطبخ، حلو الحديث، ويعني به الغادة الفنانة حلوة الحديث فقال:

ولعت بالشاي بالفنان يطبخه
حلو الحديث خفيف الروح مياس
حادثته وهو يسقيني ويلعب بي
ويمزج الريق مزج الشهد في الكاس

وقلت في ذلك :

داوني من داء الهموم براح ... تشتف مني بواعث الأتراح

إلى أن قلت

هو خير الشراب ذوقاً كما من ... قد سقاني الشراب خير الملاح

وأرى أن كلاً من الشعراء جرى على مقتضى ذوقه ورأيه فيما فكر، وذلك لا يخلو من الصواب، ولكن الذي استحسن أن يكون في مجلس الشاي شهي الحديث مع الكواعب الحسان فقد حالف الصواب لأنه موافق لقوله تعالى عز من قائل في وصف أهل الجنة ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ فأولئك أحق أن يكون رأيهم أصوب، فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر الكأس ووصفها بهذه الأوصاف وأنها لذة للشاربين، وذكر هذه اللذة التي ليس لها مثيل، ذكر اللذة التي تماثلها وهي لذة قاصرات الطرف العين، اللواتي عند الشاربين، فقال: (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ) فهؤلاء أحق أن يتبوءوا قمة الصواب لما



ذكرنا، وهو نص الآية الكريمة. والله أعلم بالصواب.

وكان انتهائي من هذه الرسالة (أكواب الشاي من الأدب الحضرمي) وذلك في أول يوم من شهر محرم سنة ١٣٩٧هـ الموافق: ١٩٧٦/١٢/٢٢م . جعل الله هذه السنة الجديدة سنة خير وسلام ورخاء ونصر للمسلمين . آمين ..



الفهرس





